

التغيرات الاجتماعية وظاهرة الحجاب العصري في المجتمع الجزائري

مريوة حفيظة

طالبة دكتوراه

جامعة وهران جامعة وهران2، محمد بن احمد

ملخص :

إنّ موضوع التغيرات الاجتماعية وعلاقتها بالحجاب في المجتمع الجزائري ارتبط بمجموعة من القيم والمعتقدات الدينية و انحصر كموضوع و ظل يتطور نتيجة التحولات والتغيرات الاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، والسياسية مما أدّى إلى إحداث تغييرات هامة في ظاهرة الحجاب فتحوّل من حجاب شرعي إلى حجاب عصري و موضّة في عدد من المجتمعات الإسلامية والسبب في ذلك ظهور عوامل مؤثرة بفعل الحراك الاجتماعي الذي شهده مجتمعنا ممّا انجر عنه عدم الثبات أو الاستقرار، فما هو ملاحظ في المجتمع الجزائري أنّه اتسم بطابع الحداثة وأثر في هيكل النظام الاجتماعي ككل فقد أثر على الأسرة عامة، والفتاة خاصة ترسيخ بعض الأفكار والتصورات في تفكيرها و جعلها تتماشى مع متطلبات العصر و استعارة نماذج و موضات مستحدثة من أجل إبراز شخصيتها وأناقيتها وجمالها و موضّة الحجاب من أكثر الموضات انتشارا، فالفتاة الجزائرية المسلمة غيّرت من طريقة لباسها للحجاب الشرعي حتى أصبحت لا تختلف عن الفتيات الغير متحجبات بلباسها و تصرفها بثياب عصرية ذات أشكال وألوان متنوعة حسب طبيعة الفصول بحثا عن التحضر والتكيف و التوافق مع الواقع ممّا شكّل لها المجال للتعبير عن التقدّم بإتباع آخر الصيحات والأزياء التي تمثل صراع فكري، وثقافي، و اجتماعي على اعتبار أنّها ظاهرة اجتماعية اتخذها مجتمعنا و اكتسبها من مجتمعات غربية ظهرت و تطورت عن طريق تكنولوجيا الإعلام والاتصال بحيث لا يمكن حصرها و التحكم فيها لأنها مظهر من مظاهر الحضارة.

الكلمات المفتاحية : التغيير، اللباس، الحجاب، الحجاب العصري، الهوية، الانتماء.

مقدمة:

يُعتبر التغيير الاجتماعي تلك التحولات التي تحدث في العلاقات والبنى الاجتماعية و المجتمع بطبيعته متغير، فالأسرة تعتبر من أهم البنى التي يقوم عليها المجتمع وهي النواة لبنائه لما تقدمه من وظائف التنشئة، وأساس وجود المجتمع وناقل الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك الاجتماعي والإطار الذي يتلقى فيه الأفراد أول أصول الحياة وفقا لنظام متجانس و منسجم مضبوط بمعايير اجتماعية و دينية وأخلاقية، باعتبارها ضرورية لبناء أسرة ذات ضوابط سلوكية و تصب في قالب ينسجم مع عادات و تقاليد و قيم المجتمع و جميع أفرادها ملزمون بإتباع هذه الضوابط والمبادئ الأخلاقية .

إنّ المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات عرف تغيرات في مختلف المجالات، هذا التغير الذي أثر على نمط الحياة الأسرية، بما في ذلك التنشئة المبنية على القيم والعادات، والتي على أساسها يتم اكتساب الفرد ثقافة المجتمع والتفاعل الاجتماعي من خلال مؤسساته المختلفة حيث يجعل أفرادهم يكتسبون الرموز والقيم التي تحكم سلوكهم.

فمن الناحية الواقعية ترى أن كل شيء داخل المجتمع ينمو ويتغير بالصورة التي نسميها بالتغير الاجتماعي والبناء الاجتماعي خاضع لتغير دائم إذ أنّه ينمو ويتجدد ويضمحل ويمرُّ بتحوّلات واسعة.

إنّ موضوع الحجاب في المجتمع الجزائري ارتبط بمجموعة من القيم والمعتقدات الدينية و انحصر كموضوع و ظل يتطور نتيجة التحوّلات والتغيرات الاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، والسياسية مما أدّى إلى إحداث تغييرات هامة في ظاهرة الحجاب فتحوّل من حجاب شرعي إلى حجاب عصري و موضّة في عدد من المجتمعات الإسلامية والسبب في ذلك ظهور عوامل مؤثرة بفعل الحراك الاجتماعي الذي شهده مجتمعنا ممّا انجر عنه عدم الثبات أو الاستقرار ، فما هو ملاحظ في المجتمع الجزائري أنّه اتسم بطابع الحداثة و أثر في هيكّل النظام الاجتماعي ككل فقد أثر على الأسرة عامة، والفتاة خاصة ترسيخ بعض الأفكار والتصورات في تفكيرها وجعلها تتماشى مع متطلبات العصر واستعارة نماذج وموضات مستحدثة من أجل إبراز شخصيتها وأناقيتها وجمالها و موضّة الحجاب من أكثر الموضات انتشارا ، فالفتاة الجزائرية المسلمة غيّرت من طريقة لباسها للحجاب الشرعي حتى أصبحت لا تختلف عن الفتيات الغير متحجبات بلباسها و تصرفها بثياب عصرية ذات أشكال وألوان متنوعة حسب طبيعة الفصول بحثا عن التحضر و التكيف و التوافق مع الواقع ممّا شكّل لها المجال للتعبير عن التقدّم بإتباع آخر الصيحات والأزياء التي تمثل صراع فكري، وثقافي، و اجتماعي على اعتبار أنّها ظاهرة اجتماعية اتخذها مجتمعنا و اكتسبها من مجتمعات غربية ظهرت و تطورت عن طريق تكنولوجيا الإعلام والاتصال بحيث لا يمكن حصرها و التحكم فيها لأنها مظهر من مظاهر الحضارة .

ومن خلال كل هذا حصرنا بحثنا السوسيولوجي في السؤال التالي :

ما مدى تأثير التغيرات الاجتماعية على ظاهرة الحجاب في المجتمع الجزائري ؟ وهل الحجاب الذي ترتديه

المرأة اليوم هو حجاب مبني على ضوابط شرعية أم موضّة عصرية ؟

ولتفكيك محور هذا شكال قُمنّا بطرح جملة من التساؤلات من بينها :

- هل الحجاب الذي ترتديه المرأة المسلمة اليوم التزام ديني أم موضّة ؟
- كيف يمكن أن تُحافظ العائلات على دينها و بنيتها الثقافية والفكرية التي أصبحت تعاني من ازدواجية التقليد والعصرنة ؟.

- هل يمكن للمجتمع الجزائري أن يضع حداً للتغييرات التي ظلت تُلاحق الفتيات ؟

مفهوم التغييرات الاجتماعية les changements sociales :

إن أبرز سمة يتميز بها مجتمعنا الجزائري في المرحلة الراهنة انه مجتمع متغير فهو في حالة تغير سريع و قوي و إذا أردنا أن نعرف معنى التغير الاجتماعي فهو: "كل تحول يحدث في النظم و الأنساق و الأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة " فالنظم مترابطة و متداخلة و متكاملة بنائيا ووظيفيا⁽¹⁾. وان أي تغير يحدث في ظاهرة لابد أن يؤدي إلى سلسلة من التغييرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة بما في ذلك الأسرة .

اهتم علم الاجتماع بدراسة التغير الاجتماعي في النصف الأول من القرن التاسع عشر عندما قام أوكست كونت و هريت سبنسر و أتباعهما بتفسير أسباب و نتائج التغير الاجتماعي في ضوء أحداث الثورة الفرنسية و الصناعية في انكلترا وما نتج عنها من تغيرات في نظام الحكم والمعتقدات الفكرية للشعوب وأنماط الحياة الاجتماعية لذا فقد كان من الضروري إيجاد نظرية خاصة بالتغير الاجتماعي أو الديناميكية الاجتماعية⁽⁵⁾.

فالتغير هو التحول و التبديل مما كان عليه لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "...ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و أن الله سميع عليم".⁽³⁾

فالتغير يشير إلى الاختلاف الكمي أو الكيفي ما بين الحالة الجديدة و الحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه في فترة زمنية محددة و عندما نضيف كلمة اجتماعي يصبح ما يسمى بالتغير الاجتماعي فهو ذلك التغير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول الذي يطرأ على جانب من جوانب المجتمع أو مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة .

و يعرفه G.ROCHER "التغير الاجتماعي هو ذلك التحول القابل للملاحظة الذي يمس كل تشكيل اجتماعي لجماعة ما سواء كان استثنائيا أو مؤقتا و يعمل على تغيير مسار تاريخ هذه الجماعة"⁽⁴⁾

فالتاريخ مليء بالعديد من التغييرات التي مست الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية والمعتقدات و النظم الاجتماعية و البناء الاجتماعي حيث أدى الانتقال من المجتمعات البسيطة الى المجتمعات الحديثة

تغيرا جذريا في مختلف الميادين والمجالات و يشير عاطف غيث: "إلى أن التغيرات الاجتماعية هي التي تحدث في التنظيم الاجتماعي، وتأتي على عدة أشكال و هي التغير في القيم الاجتماعية تلك القيم التي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار ومعايير التفاعل الاجتماعي".⁽⁵⁾

ظهر التغير من خلال الأجيال و تطورها فالمدينة عرفت حراكا و إيقاعا متصارعا و مدخل فسيح لتجدد القيم و كيفية ترجمة العلاقات الاجتماعية الموجودة ما بين الأجيال و قد مست كل جوانب الحياة و كل المنظرين في علم الاجتماع اقروا بأنه العامل الأساسي لتطور المجتمعات من شكلها البسيط الى الأكثر تعقيدا .

التغير الاجتماعي هو تغير أو تبدل الأبنية الاجتماعية أي أنماط الفعل الاجتماعي والتفاعل بما فيها من نتائج ومظاهر لهذه الأبنية متجسدة في معايير و قيم ثقافية وقيم نتائج ثقافية . ويحددها ولبرت مور الملامح الرئيسية للتغير في المجتمع المعاصر على النحو التالي⁽⁶⁾ .

❖ يحدث التغير في أي مجتمع وفي أي ثقافة بوضوح و استمرار. لا يمكن عزل التغيرات من حيث الزمان و المكان لأنها تحدث في سلسلة متعاقبة و متصلة الحلقات أكثر من حدوثها في شكل أزمات و قتيبة تتبعها مراحل إعادة البناء، كما ان النتائج التي تترتب عليها تميل إلى أن تسود المجتمع كله .

❖ التغيرات المعاصرة يمكن أن تحدث في أي وقت و يمكن أن تنتشر نتائجها و تؤثر في أي مكان .

❖ حجم التغيرات المعاصرة سواء كانت مخططة أو كانت نتائج ترتبت على التجديدات الحديثة اكبر بكثير من التغيرات التي حدثت من قبل .

❖ يؤثر الحدوث المعياري للتغير تأثيرا كبيرا وواسعا في التجربة في التجربة الفردية في النواحي الوظيفية للمجتمعات في العالم الحديث و معنى ذلك انه ليس هناك جانب من جوانب واحد من الحياة يفلت من التغير .

فالتغير الاجتماعي في نظرة علماء الاجتماع هو تغير في البناء الاجتماعي و اهم تغير بنائي هو ذلك الذي يترك آثاره في النسق الاجتماعي بما في ذلك التغيرات التي شهدتها الأسرة الجزائرية في منظومة القيم والعادات و التقاليد فالتغير الاجتماعي والتغير الثقافي يشير الى التغير في الأنساق و الأفكار المتنوعة من قيم و معايير ومعتقدات .

فهناك فرق بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي فالأول عبارة عن تغير يحدث في التنظيم الاجتماعي أي بناء المجتمع ووظائفه وأدواره فالتغير لا يشكل إلا جزء من دائرة أوسع تسمى التغير الثقافي و التغير الثقافي يعم جميع التغيرات التي تحدث في أي فرع من الثقافة كالتيكنولوجيا .

فالتغير الاجتماعي يكون نتيجة من نتائج التغير الثقافي ،لأن هذا الأخير يؤدي بدوره إلى إحداث تغيرات عديدة في صور التفاعل في المجتمع عامة والأسرة خاصة مما يهيئ الفرصة لظهور قيم مختلفة و جديده وخلق هذه القيم الجديدة يتم عن طريق إحداث تغيرات في الثقافة الكلية للمجتمع كما يحدث في مجتمعنا الجزائري .

إن التغير مصطلح يشير إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي و النظم والعادات والقيم و أدوات المجتمع نتيجة للتشريع أو عادات جديدة لضبط السلوك⁽⁷⁾ . ويحدث هذا التغير في أي مجتمع و أي ثقافة بحيث تؤثر نتائجها على أفراد المجتمع. فقد حاولت عدة نظريات تفسير التغير الاجتماعي باعتباره ظاهرة و بأنه ضرورة حتمية لكل مجتمع ولا بد أن يحدث نوع من الاتزان و التوافق في البناء الاجتماعي بشكل متناسق ،بهذا يعد التغير الاجتماعي كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء أو في الشكل أو النظام الاجتماعي و أن الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارونها خلال حقبة من الزمن .

فالواقع أن كل شيء داخل المجتمع يتغير وينمو بالصورة التي نسميها بالتغير الاجتماعي ،ولقد اهتم بعض المفكرين والعلماء للتمييز بين أنماط التغير ،حيث حصرها في ثلاثة أنماط أساسية تم تحديدها من قبل المتخصصين⁽⁸⁾ .

❖ التغير الحضاري: مثل المخترعات التكنولوجية و الأشكال المتقدمة للإعلام والإتصال .

❖ التغير الثقافي: يتعلق بالتغير في المعرفة و في الطقوس و أشكال الفنون و الآداب .

❖ التغير الاجتماعي: ويشير لتلك التغيرات المنحصرة في تغير العلاقات الاجتماعية و أشكال توزيعها وقد عرفها ماكس فيبر على مثل تلك الأشكال للتغيرات الاجتماعية و الحضارية والثقافية ومما لا شك فيه أن تلك التغيرات تترك بصماتها في المجتمع سواء بتحقيق قدر من التوازن أو عدم التوازن .

2 - الحجاب الشرعي

و تُعدّ ظاهرة الحجاب من أبرز الظواهر الكبرى التي تناولتها النظرية الاجتماعية، حيث تمتد جذورها الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية إلى أعماق التاريخ، وتُعتبر ظاهرة يرجع تاريخها إلى ظهور الإنسان أي بظهور **الملاية والحايك** ومنذ ذلك الحين وما تزال هذه الظاهرة موضوع التأملات والبحوث الاجتماعية، ومن أقدم القضايا التي عرفها الإنسان ومارسها في حياته، و عرفت الكثير من الجدل والنقاش، حيث أكد عليها الإسلام وأصر على تطبيقها .

و قد وقف على أروع موقف عرفته البشرية في تاريخها الطويل الذي مرّ الحجاب فيه بمختلف الأشكال والتطورات (من عهد الحايك) الذي أُعتبر رمز من رموز الثقافة الجزائرية و جزء من موروثنا الشعبي المفتخر به عبر الزمن، والزي التقليدي المسمى **بالحايك الجزائري** أو **حايك المرمّة**، وهو عبارة عن غطاء أبيض ناصع ترتديه المرأة لتستر كل عورتها ولا يظهر منها إلا عيناها . إضافة إلى ما يسمى **"بالعجار"** الذي هو عبارة عن نقاب ترتديه المرأة . إلى أن انتشرت إدعاءات وأفكار لنزع هذا الزي باعتقاد أنّ الحجاب ليس في الزي وإنما في الأخلاق الحميدة وهذا الحجاب لا علاقة له بالإسلام وأفضل حجاب هو حجاب الصفات الدينية والخلقية الحسنة .

لكن منذ بداية الثمانينات بدأ **الحايك** ينسحب من الفضاء العام نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها الجزائر حيث بدأ في الاختفاء والاندثار شيئا فشيئا و كان غزو الجلابية و الجلباب، و الموضة المستوردة بسبب ما شهدته الساحة الجزائرية من غليان بين الأحزاب الإسلامية، و الأحزاب العلمانية حول ظاهرة الحجاب حيث أشدّ الصراع بين هذين التيارين و إتخذ كل طرفٍ محور خطاباته المنبرية . فتغير شكل الحجاب من التقليدي "الحايك" الذي سيطر سنين طويلة على مظهر المرأة الجزائرية بكل ما يحمل من قيم ثقافية محلية إلى اللباس العصري الذي يتوافق مع مُتطلبات الحياة .

و كانت الصيغة التي قدمها الإسلام في هذا المجال مُنسجمة مع واقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها ، فجاء القرآن الكريم وأكد شرعية الحجاب، و المولى عزّ وجلّ خلق المرأة وجعل فيها لمسات جمالية عدة في سائر الجوانب ، فلمّا كانت المرأة محلّ جلب الانتباه والفتن كرّمها الله بلباس يمتلك من المقومات ما يؤهلها لاكتساب جمال حقيقي باعتباره سياج واقٍ لحفظ كرامتها و يستر عورتها وفق شروط لتحقيق اللباس الشرعي الذي فرضه الله على المرأة وأمرها بارتدائه وفق شروط ومقاييس جاء بها النص القرآني طبقا **لقوله تعالى**: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكُمْ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ" (9) .

وقوله تعالى: " وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُورِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ"⁽¹⁰⁾.

فالحجاب عنوانٌ لتلك المجموعة من الأحكام الاجتماعية التي تتعلق بوضع المرأة في النظام الإسلامي، والتي شرعها الله لتكون الحصن الحصين الذي يحمي المرأة والسياس الواقفي الذي يعصم المجتمع من الافتتان، والإطار المنضبط الذي تؤدي المرأة من خلاله وظيفة صناعة الأجيال وصياغة مستقبل الأمة، والمساهمة في نصب الإسلام والتمكين له في الأرض .

إنَّ الحجاب الذي ذُكر في القرآن الكريم هو الحجاب الشرعي فالمولي عزوجل خلق المرأة و جعل فيها لمسات جمالية عدة في سائر الجوانب ، ولما كانت المرأة مركز لجلب الانتباه والفتن كرمها الله بزي يمتلك من المقومات ما يؤهله لاكتساب جمال حقيقي .

و لقد انحصر كموضوع في نطاق علم الاجتماع حتى أصبح مركز اهتمامات عديدة على المستوى النظري والتطبيقي ، إلا أنَّ التحولات الثقافية والاجتماعية الاقتصادية وحتى السياسية أدت إلى إحداث تغيرات هامة في المجتمع الجزائري، وهذا باختلاف الأنماط مما أكسب المرأة المسلمة نوعاً من الخروج عن النمط التقليدي نتيجة لما عرفه مجتمعنا من غزو فكري وعولمة وتغيرات أصابت بنياته بسبب التفاعلات للأفراد فيما بينهم حيث اضطرت المرأة إلى انفتاحها على العالم الخارجي، وبدأت تتخلى عن قيَمها وتقاليدها ونشأت لديها أفكار وتصورات عديدة نحو الحقيقة الاجتماعية و مواكبة العصرنة، و التطورات وتأثيرها بالفكر الغربي خاصة في تجديدها للباس مما نجد أنَّ الحجاب أخذ في هذه الحالة بُعداً اجتماعياً أكثر منه دينياً.

فانتشار ظاهرة الحجاب العصري راجع إلى التفشُّح والحداثَة و اتساعها بين يوم وآخر مثيرا جدلاً واسعاً في الأوساط الدينية و تحوُّل الحجاب من التزام ديني إلى موضوعة عصرية أخذت أشكالاً مختلفة ، و أصبحت المرأة المسلمة اليوم في مجتمعنا الإسلامي تواجه نوعاً من التضارب الثقافي الذي ترتب على التغيرات الجذرية التي تتعرض لها تلك المجتمعات و هو وضع ينشأ من ناحية عن استمرار التمسك أو الشعور بالالتزام بالقيم الدينية التي تحيط جسم المرأة بتحريمات فتجد أصحاب التيارات الإسلامية أنَّ هذا الزِّي المعاصر يُعدُّ تهديدا للهوية الإسلامية لأنه يفقد لشروط الحجاب كما حددتها الشريعة الإسلامية والتي تنبع من الحياء الذي يكمن في السلوك للمرأة ومظهرها وزينتها .

لقد اضطرت المرأة إلى انفتاحها على العالم الخارجي وتأثرت بالعلاقات الاجتماعية التي أنسجها أفراد المجتمع فيما بينهم داخل المدينة باعتباره وحدة لضم مجالاتها المختلفة، و يجب النظر إلى المجال المشترك والمستخدم بين الأفراد من جهة، وفي الأفكار والمعتقدات من جهة أخرى ، التي تؤدي بالأفراد إلى

محاولة الحفاظ على التأقلم مع كل تغير يطرأ على البنيان الاجتماعي من خلال إيجاد نمط للعيش معا. فنجد أنّ التغيّر يحدث داخل أي نظام اجتماعي أو مؤسسة اجتماعية كالأُسرة في جميع المواقع والأزمنة وذلك نتيجة جملة من التحولات في مختلف المجالات والميادين التي تُعرض لها الأفراد في المجتمع من خلال أنماط علاقاتهم اليومية واحتكاكهم وتفاعلهم مع المجتمع.

فالتغيّر الاجتماعي يُعتبر ذلك الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة وهو التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية، وهذا التغيّر يكون إما ايجابيا أو سلبيا، فالتغيرات الاجتماعية تُعتبر تغيّرات جوهرية في البنيان الاجتماعي من خلال التفاعل بين الأفراد والعلاقات الاجتماعية بينهم، والتي تحكمها معايير اجتماعية .

إنّ التحولات والتطورات في شكل الحجاب وتغيّره يُعتبر نوعاً من التكيف الاجتماعي خصوصاً مع الغزو الفكري والعولمة وعوامل جدّ مؤثرة وكذا استعدادات وقابلية المرأة نحو التغيير من شكل لباسها و تطويره مع الإبقاء على الشخصية الإسلامية .

فبالرغم من أنّ مُجتمعنا مُجتمع عقائدي يرتكز على التوحيد الخالص ويحتكم إلى الشريعة عن سائر المجتمعات الجاهلية بكل مناهجه، و نظمته وعلاقاته، و روابطه، وقيمه و تقاليد و أغراضه إلا أنّه تعرض إلى هدم الأسرة المسلمة بشتى أنواع التغيّرات والوسائل الإعلامية إذ أنها تعتبر نظام اجتماعي و الخلية الأولى لتكوين المجتمع، وتُحدد من حيث البناء والوظائف و مجموعة قواعد تنظيمية دينية .

فالحجاب من الناحية الدينية فرض على المرأة من باب حفظها وصونها و حمايتها، وهو طاعة لأوامر الله تعالى حيث يأمرها بالحياء و ارتداء الزي المحتشم حتى لا تكشف المرأة عن صفاتها أو معالم جسمها . فالحجاب شرعاً هو ستر جميع بدن المرأة وزينتها بما يمنع الأجانب من رؤية شيء من بدنّها او زينتها التي تتزين بها ،أمّا من الناحية الاجتماعية فيعتبر زي احترام المرأة و كل واحدة و لديها نظرة للحجاب حسب تنشئتها الاجتماعية، وعلى المرأة المسلمة في عملها خارج البيت أن تلتزم بالحجاب إذ يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل .

و يبقى الحجاب جملة من الآداب شرعها الإسلام ليبطل ما كانت تموج فيه الجاهلية من عشوائية الصلات بين الرجال والنساء ،و ليفصل الحدود التي تحدد علاقة كل من الجنسين بالآخر ،فهو يمنع التبرج والابتدال و يحوي معاني العفة و الحياء و المحافظة على الحرمات داخل المجتمع⁽¹¹⁾ . فمن الناحية الدينية يعتبر الحجاب فرض على المرأة من باب حفظها وصونها و حمايتها من مرض النفوس والقلوب .فالتحجب أظهر لقلوب الرجال والنساء و أبعد عن الفاحشة وأسبابها

أما بالنسبة للحجاب العصري فقد أدخلت على لباس المرأة تعديلات بحيث أصبح الزي التقليدي ذو طابع عصري متأثرا بأشكال جديدة ومتطورة والسبب في هذا أنه ظهرت في مجتمعنا الجزائري موجات من الموضة والتغيرات إكتسحت كافة الميادين مما جعل الفتيات تأخذن عدة أساليب في لباسها للحجاب، وهذا ما أدى إلى الانفتاح على ثقافات و أنساق قيمية حديثة من خلال الأفكار التي جاءت بها الحياة العصرية الحديثة، ومجتمعنا يعيش مرحلة انتقالية تنطوي على التداخل التقليدي الحديث و اتسم بطابع الحداثة الذي أفرزه التطور التكنولوجي مما نجم عنه المساس بمختلف جوانب الحياة ونظمها .

و هذا ما شهدته السنوات الأخيرة بانتشار كبير للحجاب العصري الذي أصبح له سمة الموضة للتكيف أكثر مع المجتمع وعقليته خصوصا مع الغزو الثقافي والفكري والاستعدادات للفتاة بتغييرها من شكل لباسها مقابل إبقائها على الشخصية الإسلامية ، فالحجاب في المجتمعات الإسلامية جاء نتيجة لما إقسمت به الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في مجتمعنا من شرف وفضيلة .

3 - ظاهرة الحجاب العصري وعلاقتها بالتطور والعصرنة:

إنّ التغيرات والتطورات التي طرأت على مجتمعنا حاليا أصبحت تتجسّد في بناء مجتمع عصري نتيجة التقدم التكنولوجي و التطور الحديث الذي أدى إلى مجموعة من الخصائص و الممارسات والانعكاسات على سلوكيات أفراد المجتمع ، حيث إسمت ظاهرة الحجاب بالصراع بين ما هو تقليدي و ما هو حديث مما أدى إلى الانغراس في مجتمعنا الحديث بقيم جديدة تأثرت بالحداثة التي مسّت بنية الأسرة و القيم والمعايير والعادات والتقاليد والسلوكيات وهذا ما أدى إلى إنتشار عدّة ظواهر إجتماعية أثرت التطورات والعصرنة في شتى المجالات بما في ذلك تجديد الفتيات للباس وطريقة إرتدائهنّ للحجاب لمواكبة تغيّرات العصر .

فإنّ التغيرات التي عرفها مجتمعنا في مختلف الميادين أثرت بشكل سلبي في نمط الحياة وهذا ما نشهده من خلال لباس الفتيات و حجابهنّ حيث أصبحنّ يبدن الموضة ولا يبالون بدينهم و قيمهم و عاداتهم واتسعت هذه الظاهرة لعدّة أسباب منها:

✓ غياب دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعد من بين المصادر الموجّهة لسلوكيات و تصرفات الأفراد في مختلف المجالات الاجتماعية .

✓ ظهر عامل كسر جدران الحدود الجغرافية وهو عامل التقنيات الحديثة، عامل القنوات الفضائية، عامل الانترنت، و بالتالي فإنّ وسائل الإعلام و الإتصال أصبحت تؤثر على سلوك فتياتنا بشكل سلبي، هذا من ناحية تقدم وسائل المواصلات و زيادة سرعتها أحدثت تغييرات عديدة على طريقة اللباس عند الفتيات .

✓ غزو الثقافة الغربية ممّا أدّى إلى الابتعاد عن القيم و التقاليد باعتبارها لا تتماشى مع متطلبات العصر.

✓ مجيء سياسة الانفتاح والحداثة والتي ترتب عنها نتائج وأثار خطيرة خصوصا على منظومة القيم في المجتمع الجزائري، التقدم والتطور دليل قاطع لانتشار ظاهرة تجديد الفتيات للباس و طريقة ارتدائهن للحجاب لمواكبة تغييرات العصر .

✓ عدم قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدورها من بينها الأسرة والمسجد، مما أنتج لدى فتياتنا نقص في الوعي واللامبالاة.

إنّ التغييرات التي عرفها المجتمع في مختلف الميادين تجسّدت بكل وضوح في نمط الأسرة منها التحديث ، وهذا من خلال التخلي عن الأسرة الممتدة التي كانت شائعة في الماضي ، والسبب راجع الى التحولات التي شهدتها مجتمعا . ممّا أدّى إلى إنهيار الروابط الأسرية الممتدة و الميل إلى الأسرة النووية . فقد أثر الغرب في عقليات وأفكار أفراد مجتمعا ما ترتب عنها مجموعة من الآثار العميقة منها الابتعاد عن التقاليد والقيم والعادات والأخلاق و على هذا فقد أصبح المجتمع الجزائري يعيش مرحلة إنتقالية تنطوي على التداخل بين ما هو تقليدي و حديث سواء من ناحية القيم والعادات و التقاليد الاجتماعية السائدة أو الثقافية و غيرها ، ممّا جعل ظاهرة الحجاب العصري في المجتمع الجزائري أكثر إنتشارا فقد أصبحت فتياتنا يعمدن التقليد دون مراعاة العرف أو الدين⁽¹²⁾ .

4 - القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري و الحجاب العصري :

تعتبر القيمة في الواقع إهتمام أو إختيار يشعر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية أو العقلية وكل هذه المبررات تجتمع على معايير تكتسب من الجماعة . فالقيمة تعرف على أنها عبارة عن مفاهيم وتصورات تميّز الفرد أو الجماعة و تحدد ما هو مرغوب و غير مرغوب اجتماعيا و القيم تؤثر في إختيار الأهداف و أساليب الفعل وتتجسّد في اتجاهات الأفراد و الجماعات وأنماط سلوكهم ومعتقداتهم و ترتبط بالبناء الاجتماعي وتؤثر وتتأثر به .

فالقيمة هي الأساس العام للأخلاق والجمال والتشريع والتعليم الديني والمعرفة ، وعلى هذا فإن فكرة النسق القيمي انبثقت من تصور مؤدي أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى . وبالتالي فإن النسق القيمي عبارة عن نموذج متكامل من التصورات والمفاهيم الديناميكية الصريحة أو الصامتة يحدّد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً وما يؤثر في اختيار الوسائل والطرق والأساليب والأهداف الخاصة بالفعل في مجتمع ما أو جماعة ما ، وتحديد مظاهره واتجاهات الأفراد والجماعات وأنماط سلوكهم ، فالقيم الدينية كقيم ملزمة في حياة عامة الناس ، وبالتالي فإنّها تعتبر من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ، ذلك لأنها ضرورة اجتماعية⁽¹³⁾ . ولأنّها معايير وأهداف لا بدّ أن نحدها في كلّ مجتمع منظم .

القيمة عند مالمينوفسكي : هي اتصال قويّ وحتمي بموضوعات وقيم ومعايير لديها ثلاثة شروط من بينها :

- ❖ أن يكون للفرد وعي يتبلور حول وجود شيء أو فكرة أو شخص .
- ❖ هذا الوعي يهمه بمعنى أنه يحدث عنده اتجاهاً إنفعالياً مع الفكرة أو الشخص ، فينظر إليه على أنه خير أو شر إلى حدّ ما .
- ❖ أنّ هذا الوعي والاتجاه الإنفعالي يدومان بعض الوقت فالفرد داخل المجتمع مجبر و ملزم على اتباع مجموعة من القيم والمعايير والمبادئ⁽¹⁴⁾ من بينها القيم الدينية التي تعمل على حماية الفرد من الوقوع في الخطأ والشهوات والنزاعات والانحرافات إذ أنها تعتبر عامل وقائي حيث يؤكد "مالك بن نبي" أنّ مستوى أخلاق المجتمع ينخفض كلّما كان هناك نقص في الفعاليّة الاجتماعيّة للفكرة الدينيّة فكلّما انخفض المستوى الأخلاقي للمجتمع كلّما اتجه إلى التفكك⁽¹⁵⁾ .

والقيم الأخلاقية ضرورية لبناء المجتمع ، إذ أنّها تنظم سير الحياة فيه ، وتكفل لكل فرد سعادته ، فهي تعمل على ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض الآخر فترتبط العناصر المتعددة والنظم حتّى تبدوا متناسقة ، وتساعدنا على مواجهة التغيّرات التي تحدث في المجتمع بتحديدّها للاختيارات الصحيحة ، فالإختلاف في القيم يمثل جانبا رئيسياً من جوانب التباين في الثقافة ، كما يتأثر الأفراد بهذه الثقافة التي يعيشون فيها .

إن موضوع الحجاب العصري في مجتمعنا إرتبط بمجموعة من القيم أو منظومة معيّنة حيث تشهده في حياتنا اليومية أنّه ظهرت تحولات مختلفة نتيجة الحراك الاجتماعي الذي يشهده مجتمعنا ، مما أنجر عنه عدم الثبات أو الاستقرار في منظومة القيم الخاصة بهذه الظاهرة . وماهو ملاحظ في واقعنا المعاش أنّنا أصبحنا نتسم بطابع الحداثة و العصرية نتيجة التطور التكنولوجي الذي مسّ جوانب مختلفة مما نجم عنه تحول وتغيير في المنظومة القيمية للحجاب كظاهرة و بالتالي فإننا نعيش مرحلة إنتقالية تنطوي على التداخل التقليدي والحديث سواء من ناحية القيم والعادات الاجتماعية السائدة أو الثقافية .

لذا فإنّ القيم تعمل على وقاية أفراد المجتمع من الانحراف وتحميه من الوقوع في الخطأ⁽¹⁶⁾ إذ أنّها تشكل أحد أهم ضوابط السلوك الاجتماعي و لها أهمية كبيرة في الحفاظ على تماسك المجتمع ،و على مبادئه و أفكاره ،و تعمل على ربط أجزاء الثقافة و جعلها متانسقة و متجانسة .

خلاصة :

كحوصلة يمكننا القول أن التغيرات الاجتماعية الهائلة التي عرفها المجتمع الجزائري كانت نتيجة أسباب وعوامل وتأثيرات خاصة في مختلف المجالات نتيجة ديناميكيته، تركت بصماتها على مختلف الأصعدة والأبنية التي تنظم الحياة الاجتماعية بما في ذلك الأسرة الجزائرية. فالتغيرات التي شهدتها مجتمعنا الجزائري بمختلف أشكالها أثرت على تركيبة البنية والوظيفة، على اعتبار أن المجتمع مكون من مؤسسات وهذه المؤسسات متصلة ببعضها البعض ، وتظهر فيها أفكار إيديولوجية نتيجة لعلاقات الأفراد مع غيرهم من جماعات وهذه الأفكار محركة ومثيرة للتغيرات التي تحدث في المجتمع لارتباط هذه الايديولوجية بحياة المجتمع الثقافية.

إن ظهور الإبداعات والثقافات الجديدة تؤدي بالضرورة إلى التغيرات والتحول، ومن خلال دراستنا السوسيولوجية والثقافية والدينية توصلنا إلى أن المجتمع الجزائري أصبح يعيش بعض التطورات النوعية التي مست البنى الثقافية والفكرية للأفراد والجماعات ، بما في ذلك بالثقافة الفرعية التي تميز جماعة عن جماعة أخرى، بحيث تتجسد هذه الثقافة في تصورات وتمثلات وسلوكات وممارسات ، الأفراد في إطار الجماعة ومن هذا يمكننا القول إلى أن انتشار ظاهرة الحجاب العصري في المجتمع الجزائري مرتبطة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية التي عرفها المجتمع في الآونة الأخيرة ، مما أدى الى تطورها واختلافها من فترة لأخرى نتيجة ظهور عوامل مؤثرة في شتى المجالات .

فالفتاة داخل الأسرة الجزائرية لها مجموعة من العادات و القيم و المعتقدات التي تتطبع عليها بفعل التنشئة الاجتماعية و الأسرية ، مما يميّز سلوكها داخل المجتمع و يجمع مصيرها المشترك. فقد تكتسب القواعد و السلوكات المبنية على الضوابط و القيم و المبادئ الأخلاقية و الدينية و بالتالي هي مجبرة و ملزمة على إتباع هذه القواعد و السلوكات ، لأنّ مجتمعنا مجتمع عقائدي يرتكز على الشريعة الإسلامية بكل مناهجها و قيمها ، والأسرة هي التي تحدّد تصرفات أفرادها عامة و الفتاة خاصة و تشكل حياتها و مصدر عاداتها و تقاليدها و قواعدها من خلال أساليب و قواعد الضبط الاجتماعي .

لكن ما نجده أنّ الأسرة الجزائرية تغيرت بشكل ملفت للانتباه مما أدّى إلى تحولات عميقة مسّت أنماط عيش أفرادها ، ووظائفها ، نتيجة ما نشهده اليوم من تطورات في شتى الميادين و تأثيرات بالانفتاح و العصرية مما أثر بشكل سلبي على سلوكات فتياتنا اللواتي أصبحن يعشن الواقع الاجتماعي وفقا لمستجدات الحداثة، هذه الظاهرة الجديدة التي اتسعت و تفاقمت في مجتمعنا ، حيث شهد ارتفاع عدد المتحجبات بالصورة العصرية و الحديثة .

السبب في انتشار هذا النوع من الحجاب نجد أولاً التأثيرات و التغيرات التي أثرت على ثقافتنا بما في ذلك طريقة اللباس للحجاب ، بحيث نجد أنّ للدين الإسلامي بيان واضح حول ضرورة اقتناء الفتاة للحجاب الشرعي عند بلوغها السن المحدد للحفاظ على طهارتها و سلامة المجتمع لكن ما هو ملاحظ في واقعنا المعاش غياب الوازع الديني و الخلقي هو الأساس و الدليل قاطع لهذا الانحطاط الخلقي ، إذ أنّه أصبح يعدّ من أبرز الموضوعات التي كثر فيها الجدل و من أهم القضايا الاجتماعية ، لما يعرفه من تطورات مع واقع الحياة الاجتماعية و متطلباتها مع الغزو الثقافي و العولمة و عوامل جديدة مؤثرة تغيرت و أشكال الحجاب في المجتمع الجزائري من حجاب شرعي إلى حجاب عصري و حديث يعتمد على موضات.

فالحجاب تأثر بفعل تنوّع الثقافات بعدما كان يمثل للفتاة الجزائرية رمز للدلالة على علاقتها بالشعائر الدينية و الطقوس و الانتماءات الثقافية و الاجتماعية .

إنّ تنوع في كيفية ارتداء الحجاب و التناقض في أشكاله حملت معالم الصراع و تحول من حجاب بسيط إلى حجاب ذي موديلات عديدة و أشكال و ألوان متنوعة متماشية مع الحداثة و آخر الصيحات.

و مجتمعنا أصبح مسرحاً لمنافسة الفتيات المتحجبات في اقتناء أحسن الثياب في كل المواسم ، فبعدما كان الحجاب تعبير على عقيدتها و قيمها و إيمانها الديني ، تغير و هذا راجع لتغير بنية الأسرة و وظيفتها ، فقد أصبحت الأسرة تميل إلى النمط المفتوح (الحديث) ، بعدما كانت الأسرة ممتدة لها قيم و عادات و تقاليد، إلّا أنّه نتيجة لتحولات تدريجية التي شهدتها مجتمعنا نجد أنّ الأسرة اختلفت من ممتدة و مركبة إلى النووية وهذا راجع إلى الآثار العميقة من ابتعادها عن التقاليد و القيم ، و تجسيد نمط الأسرة

النواة، فقد أثر الغرب في عقليات و أفكار مجتمعنا ، و تقلصت القيم و العادات التي نشأت عليها الفتاة ، أظهر ما يسمّى بحتمية التحضر و الموضة ، فقد بدأت تستغني عن الصفات التقليدية و ترتبط بفكرة العصرية لمواكبة التطور.

فالمرأة دخلت عالم الموضة و الجمال و أصبحت تُبدع في كيفية ارتدائها للحجاب على اعتبار أنّه حجاب شرعي و سترة لها ، لكنها أصبحت لا تختلف عن الفتيات الغير متحجبات بلباسها العصري و الضيق تكاد احيانا أن تُظهر مفاتها و هذا باختلاف الأنماط الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و مجئ الاستعمار الحديث الحديث بكل وسائله حصل للحجاب تغيرات مما تعدّ من شكله التقليدي و الديني .

و لأنّ مجتمعنا الجزائري تأثر بالتغيرات و أصبح ينظر في اللباس اكثر منه في الجانب الأخلاقي و القيمي زاد من ارتفاع نسبة المتحجبات بالطريقة العصرية على غرار أنّ هذا اللباس حسب رأي الفتاة في المجتمع يرفع من قيمتها و يظهرها في مظهر جميل و فاتن و أنيق مما أصبح لا يستغني عن الموضة و ظهر هذا من خلال ارتدائها للملابس الضيقة و المغرية و ترتدي معها الخمار بالإضافة إلى استعمال مختلف أنواع الزينة من ملحقات تجميلية و غيرها من الموديلات و الألوان و الأشكال .

فقد أصبح مجتمعنا عامة و أسرنا خاصة يعيش مرحلة انتقالية تنطوي على التداخل التقليدي و الحديث الذي افرزه التطور التكنولوجي و هذا ما يمكن تسميته بالغزو الثقافي الذي أدّى إلى الابتعاد عن القيم و التقاليد باعتبارها لا تتماشى مع متطلبات العصر .

إنّ التنشئة الاجتماعية للفتاة داخل الأسرة الجزائرية كانت مبنية على نمط تقليدي مبني وفقاً لأخلاق و معايير وقيم دينية ، لكن التغيرات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية أثرت على سلوكيات الفتاة الجزائرية و أكسبتها هذه التغيرات الخروج عن النمط التقليدي و إتباع النمط العصري الحديث ، فقد بدأت تتخلّى عن قيمها و تقاليدها و نشأت لديها أفكار و تصورات و سلوكيات عديدة ، خاصة من ناحية تجديدها للباس ، حتى لا تظل حبيسة في المجتمع و تندمج فيه بصورتها العصرية ن فالتنشئة الاجتماعية لها علاقة بالتربية الأسرية حيث تكتسب السلوكيات و العادات ، التي تنقلها الأسرة و المجتمع ، و دور منظومة القيم في التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة هي من أهم المصادر الأولية التي تتولّى غرس قيم التربية و الثقافة العامة للمجتمع ككل ، لتضبط سلوكيات أفرادها داخل المجتمع و تماسك العلاقات و تضع حدّ للتغيرات ، و ما نشهده في الآونة الأخيرة أنّ الفتاة أصبحت تمشي في الاتجاه المعاكس فما يرسخه البيت و الوالدين تقتله التغيرات بما في ذلك وسائل الإعلام و غيرها من التكنولوجيات الحديثة .

- 1 - دلال ملحس استيتة، التغير الاجتماعي و الثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2008، ص19
- 2- احسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، المدخل الى علم الاجتماع، دار وائل للنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص226
- 3 - القرآن الكريم/ سورة الاحزاب، الآية 53 .
- 4- rocher.guy, introduction a la sociologie générale, le changement social ;t3,2000.p71
- 5- احمد زايد، التغير الاجتماعي، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط2، 2000، ص18
- 6- نخبة من المتخصصين، مبادئ علم الاجتماع، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، مصر، ط2، 2008، ص306 .
- 7- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط، 1990، ص44
- 8- محمد إسماعيل قباري، علم الاجتماع و الفلسفة، دار المعرفة الجامعية، ط، د.س، ص227 .
- 9- سورة الأحزاب، الآية 59 .
- 10- سورة النور، الآية 31
- 11 - محمد أحمد الزعبي، التغير الاجتماعي، دار النهضة العربي، ط3، ص34، 1984.
- 12- عاطف غيث، التغير الاجتماعي في المجتمع القروي، دار القومية للطباعة و النشر، ط2، 1965، ص34.
- 13- محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، ط2، 2002، ص107
- 14- عبد الرب نواب الدين، عمل المرأة وموقف الاسلام منه، دار الشهاب للطباعة و النشر، ط2، د.س، ص114 .
- 15- بثينة عبد الرؤوف رمضان، مخاطر التعليم الاجنبي على هوية الثقافة و قيم المواطنة و الانتماء، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007، ص23.
- 16- فوزية دياب، القيم و العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1980، ص16.